

التماسك النصي في نهج البلاغة دراسة مخصصة الحذف

طالب الماجستير حسين حسن صاحي الزياي

فرع اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة فردوسي مشهد - مشهد - إيران

alzyadyhsyn158@gmail.com

الدكتور سيد حسين سيدي

استاذ في قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة فردوسي مشهد - مشهد - إيران

إيران

seyedi@um.ac.ir

الدكتور أمير مقدم متقي

استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة فردوسي مشهد - مشهد - إيران

مشهد - إيران

a.moghaddam@ferdowsi.um.ac.ir

The textual coherence in Rhetoric Approach study deletion dedicated

Master student Hussein Hassan Sahi Al-Zayadi

Arabic Language and its literatures Branch- literatures College-

Ferdowsi University of Mashhad- Mashhad- Iran

Dr. Sayed Hassan Sayydi

Professor at Arabic Language department and its literature- Literature

College- Ferdowsi University of Mashhad- Mashhad- Iran

Dr. Ameer Muqaddam Mottaki

Co-Professor in Arabic Language department- Literature College-

Ferdowsi University of Mashhad- Iran

Abstract:

This is study do on attempt to discover erase tools from through apply approach of alblakha ,we based for that on test tongue way for purpose about join role from alnahoy sapik that we chose the role of erase in al imam al ibn abetalib(alih slam) - speakings with this very important phenomenon at language- arab ,from their speak about conceptions of erase and divisions and importance of guide in erase .

As we can result or infer from that the erase in approach of alblakha it are holly logs from where building and meaning and achieved that from test Sepik and attachment of parts each other .

Key words: Holy Quran, Imam Ali, Rhetoric Approach, Textual Coherence, deletion, text lesson, Linguist lesson.

الملخص :

تقوم هذه الدراسة على محاولة الكشف عن أدوات الحذف من خلال التطبيق في نهج البلاغة، وقد أستندنا من أجل ذلك على المنهج اللساني النصي بغية الكشف عن دور الربط من خلال السبك النحوي الذي اخترنا دور الحذف في أقوال الإمام علي a، وبهذا حظيت ظاهرة الحذف باهتمام بالغ عند اللغويين العرب، من خلال حديثهم عن مفاهيم الحذف وأقسامه وأهمية الدليل في الحذف.

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الحذف في نهج البلاغة مدونات مقدسة من حيث مبنائها ومعناها وقد تحقق ذلك من خلال سبك النص و تماسك أجزائه فيما بينه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإمام علي، نهج البلاغة، التماسك النصي، الحذف، الدرس النصي، الدرس اللغوي.

المقدمة:

كان هذا البحث متصلاً بأقوال الإمام علي عليه السلام من خلال دراسة الحذف من حيث الجانب النظري والتطبيقي في نهج البلاغة، فقد تناول البحث مفهوم الحذف، وأقسامه، وأهمية الدليل في الحذف، ودوره في تماسك النص.

وبعد ذلك التطبيق في اقوال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة من خلال أداة الحذف بأنماطها الأربعة وهي، حذف الحرف مع التطبيق في نهج البلاغة، وأيضاً حذف الاسم مع التطبيق في نهج البلاغة، وأيضاً حذف الفعل مع التطبيق في نهج البلاغة، وأخيراً حذف الجملة مع التطبيق في نهج البلاغة وهذا التطبيق يؤدي الى تماسك النص وترابط أجزائه فيما بينه.

واحتوى هذا البحث على كثير من المصادر والمراجع من العلماء القدماء والمحدثين تبعاً لتنوع البحث فتطرق الى كتب النحو والصرف وكتب التفسير وغيرها من المصادر. الحذف في الدرس النصي واللغوي:

اتجهت اللغات الإنسانية الى الإيجاز والاختصار من خلال الحذف، نظراً لصعوبة ذكر كل التفاصيل المتضمنة في العمل الكلامي؛ لأنه يتطلب مساحة كبيرة من الزمان لكل من المخاطب والمخاطب، إضافة لما يحدثه التفصيل من الملل والحشو الزائد في النص. (١) ويمكن القول قد لقيت ظاهرة الحذف اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين قديماً وحديثاً، وهي لغوية تشترك فيها جميع اللغات، ولكنها أوضح وأكثر بروزاً في اللغة العربية؛ نظراً لما تتميز به هذه اللغة من ميل الى الإيجاز والاختصار، حيث يعتمد المتكلمون الى حذف وإسقاط بعض العناصر المتكررة في الكلام. (٢).

ولا بد من التطرق الى مفهوم الحذف لغةً واصطلاحاً، ونبين أثر الحذف في نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام. مفهوم الحذف لغةً واصطلاحاً:

- الحذف لغةً: جاء في معجم لسان العرب مفهوم الحذف: ((حَذَفَ الشَّيْءُ يَحْذِفُهُ

حَذَفًا: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ، وَالْحَجَامُ يَحْذِفُ، وَأُذُنٌ حَذَفَاءُ: كَأَنَّهَا حُذِفَتْ أَيْ قُطِعَتْ. وَالْحَذْفَةُ الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوْبِ، وَقَدْ احْتَذَفَهُ وَحَذَفَ رَأْسَهُ^(٣).

وجاء في معجم العين مفهوم الحذف: ((قَطَفَ الشَّيْءَ مِنَ الطَّرْفِ كَمَا يَحْذِفُ طَرَفُ ذَنْبِ الشَّاةِ، وَالْحَذْفُ: الرَّمْيُ عَنْ جَانِبٍ وَالضَّرْبُ عَنْ جَانِبٍ، وَتَقُولُ: حَذَفَنِي فُلَانٌ بِجَائِزَةٍ أَيْ وَصَلَنِي. وَحَذَفْتُهُ بِالسَّيْفِ: عَلَى مَا فَسَّرْتَهُ مِنَ الضَّرْبِ عَنْ جَانِبٍ))^(٤). وجاء أيضاً في المعجم الوسيط مفهوم الحذف: ((حَذَفَ الشَّيْءَ حَذْفًا: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ. يُقَالُ: حَذَفَ الْحَجَامُ الشَّعْرَ وَأَسْقَطَهُ. وَبِالْعَصَا وَنَحْوَهَا: رَمَاهُ وَضَرَبَهُ بِهَا. وَيُقَالُ: حَذَفَهُ بِجَائِزَةٍ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا صِلَةً لَهُ))^(٥).

يلاحظ من خلال النظر في المعاجم العربية القديمة والحديثة أن المعاني اللغوية لمادة حذف تدور في محور القطع، والطرح، والتسوية، والإسقاط، فالحذف في العربية يعني التخلص من الحشو والزوائد التي تجعل الكلام ثقیلاً وركيكاً على اللسان لذا اتجه العرب الى الحذف من أجل التخفيف والحفاظ على جمال ورونق اللغة.

الحذف اصطلاحاً:

أشار الباحثان (هاليداي ورقية حسن) الى أن الحذف هو علاقة تتم داخل النص، ففي معظم الأمثلة يتواجد العنصر المفترض^(٦)، وهذا ما ذهب اليه الدكتور نعمان بوقرة بقوله: ((ويتحدد الحذف بأنه علاقة تتم داخل النص فمعظم أمثلته تبين أن العنصر المحذوف موجود في النص مما يعني أن الحذف ينشأ علاقة قبلية))^(٧).

حذف ينشأ من حدوث فراغ بنيوي في الجملة الثانية، وملؤه يعتمد على ما ورد في الجملة السابقة، والمعنى من هذا هو الذي يحكم طبيعة الحذف، ومدى وضوح الدلالة المقصودة من النص بعد الحذف، ووجود المؤشرات إن الحذف على مستوى جملة واحدة لا يحقق التماسك بل على مستوى أكثر من جملة^(٨).

أما (دافيد كريستال) فقد أشار في معجمه أن الحذف هو جزء من الجملة، وهذا الحذف يقع في الجملة الثانية، ويدل عليه دليل في الجملة الأولى^(٩)، مثل: أين شاهدت الفيلم؟ الجواب: في السينما.

نلاحظ أن كريستال هو الآخر يعد الحذف علاقة قبلية وقد بين ذلك في تعريفه على ضرورة وجود دليل على المحذوف؛ لأن غياب الدليل سوف يؤدي الى اختلال المعنى،

فالحذف لا يتم ((إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى. وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ وتشير بذلك وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره))^(١٠).

نستنتج من هذا القول هو ((أن المحذوف من الكلام، لو بقي فإنه يشكل خلافاً على مستوى النص؛ يتمثل في حشو وزيادات لا طائل من ورائها، خاصة إذا وجد في النص أو في محيطه من القرائن الحالية والمقالية وما يغني عنها))^(١١).

أما (فاسولد وليتتون) فيعدان الحذف تغييراً دلالياً؛ حيث يتطلب منا العنصر المحذوف النظر في كل العبارة من أجله، فهو مرتبط من ناحية المعنى بالعبارة التي يرد فيها، والمتلقي في طريق بحثه عن العنصر المحذوف يحاول أن يتلمس المعاني التأويلية الصحيحة للنص، معتمداً على السياق اللغوي والسياق الموقف، ووجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النص والموقف مثال آخر من أمثلة الاطراد في الاستعمال^(١٢).

الحذف في التراث العربي:

إن الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها جميع لغات الإنسانية، فالناطقون بها يميلون إلى حذف بعض العناصر بغية الاختصار^(١٣)، لذلك عني علماء العربية على اختلاف اتجاهاتهم بدراسة هذه الظاهرة، فقال سيويوه: ((إذا طال الكلام كان الحذف أجمل، وكأنه يصير بدلاً من شيء))^(١٤)، وقال في موضع آخر: ((أعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً))^(١٥)، وقد عقد باباً في كتابه معالجة فيه مسألة الحذف سماه: (هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافاً))^(١٦).

وقد اشترط العلماء على أن يحذف لفظ من الكلام إلا أن يدل عليه دليل لغوي أو مقامي، وأن لا يؤدي الحذف إلى فساد المعنى، وكذلك ذكروا أصناف الحذف العربية، ومن ذلك قول ابن جني (ت ٣٩٢هـ): ((حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك، إلا عن دليل، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))^(١٧).

وأكد العلوي (ت ٧٠٥هـ) بقوله: ((لا بد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال))^(١٨).

أما ابن هشام فقد اشترط^(١٩) لكي يكون الحذف سائناً ومقبولاً، بعض الأمور وأهمها ما يلي:

١- وجود دليل على المحذوف:

هذا الشرط من أهم الشروط الواجب توافرها في أسلوب الحذف، لأن الحذف لم يكن عندهم عملاً اعتباطياً، بل لا بد من وجود دليل لغوي يعرف من سياق اللغة، أو دليل مقامي يعرف من السياق الخارجي للغة، أو دليل عقلي^(٢٠)، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(٢١)، أي قدره وسلطانه وقضاؤه^(٢٢)، ففي هذه الآية دلّ العقل على المحذوف، لأن مجيء الله عز وجل أمر مستحيل.

٢- أمن اللبس:

ركز النحاة على أهم شرط وهو ألا يؤدي إلى اللبس في اللفظ أو المعنى، حتى لا تختلط المعاني بعضها ببعض، أو تختلط الألفاظ فيكون اللبس^(٢٣)، وقد أشار إلى هذا المبرد (ت ٢٨٥هـ) بقوله: ((هذا باب ما يحذف استخفاً لأن اللبس فيه مأمون وذلك أن للأشياء أصولاً، ثم يحذف منها ما هو يخرجها عن أصولها))^(٢٤).

وأشار البلاغيون إلى أهمية الحذف فأشادوا به، وذكروا فضله وعبر الباقلائي (ت ٤٠٣هـ) عن أثره في النفس بكلام جميل بقوله: ((الحذف أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد))^(٢٥)، ومما جاء في كتاب (دلائل الإعجاز) للجرجاني، أن الحذف ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، سيبه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت من الإفادة أزيد للإفادة، وتجحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين))^(٢٦).

ويجب أن يكون الحذف ما لا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى الشيء المتروك، وكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والركة^(٢٧).

أما ابن الجوزية (ت ٧٥١هـ) فقد تناول الحذف من جوانب كثيرة فمنها فوائده وأسبابه، وشروطه، وحكمه، فقال متحدثاً عن الإيجاز بالحذف: ((الكلام عليه من وجوه: الاول، المعنى الذي حسن الحذف من أجله، الثاني في فائدته، الثالث في شرطه، الرابع في أقسامه، الخامس في توابعه، السادس فيما يقبح منه))^(٢٨).

أما الزركشي فيرى أن فائدة فهم النص فهماً صحيحاً يؤدي إلى استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان التمتع به أشد وأحسن^(٢٩).

وأما عن أنواع الحذف فقد أفرد ابن هشام قسمًا خاصاً لها، وذكر فيه القضايا المتعلقة بالحذف بصورة تفصيلية يمكن إجمالها في خمسة أنواع هي^(٣٠): حذف (الاسم، الفعل، الحرف أو الأداة، الجملة، أكثر من جملة)، أما القزويني (ت ٧٣٩هـ) فجعل الحذف^(٣١) جزء جملة، جملة، أكثر من الجملة.

الحذف في اللسانيات النصية:

الحذف ((هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة))^(٣٢)، ويعد الحذف من أهم الوسائل المهمة التي تهتم بسبك النص وتربط أجزائه، ((وهو علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المقترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية))^(٣٣)، والحذف له أثر في سبك النص، إذ يعتمد المتكلم إلى حذف كلمة أو عبارة بدلاً من تكرارها، ويفترض وجود عنصر سابق يعد مصدراً للمعلومة المفقودة، إذ يترك العنصر المحذوف فجوة على مستوى البنية التركيبية، ويمكن ملؤها من مكان إلى آخر في النص^(٣٤).

ويؤكد الدكتور محمد العبد بقوله: ((أن الشاعر أو الكاتب قد يعمل عمداً إلى ترك بعض الفراغات أو الثغرات التبليغية في نصه، بهدف توظيفها توظيفاً فنياً، تاركاً لاجتهاد القارئ، وفطنته، وحسن توجيهه للمعنى فرصة ملء هذه الفراغات تأسيساً على المعنى الكلي للنص أو وحدة الدلالة. ومن هنا يصبح موقف القارئ من النص أكثر إيجازاً))^(٣٥).

والحذف في الجملة الواحدة لا يحقق سبكاً نصياً، بل لا بد من وجود أكثر من جملة، فالجملة الواحدة ليس فيها مذكور في الغالب يدل على المحذوف، حتى يمكن أن

يتماسك المحذوف مع ما يدل عليه في الجملة، وغالباً مرجعية المحذوف لما سبق، وقد تكون مرجعيته خارجية وذلك في سياقات معينة، حيث يقدم لنا السياق المقامي المعلومات التي نحتاج إليها في تفسير المحذوف، ولكن الحذف الخارجي يخرج عن تماسك النص الداخلي إلى تماسك النص مع السياق^(٣٦)، وإن وجود دليل على المحذوف في أكثر من جملة داخل النص أو في نص آخر مرتبط به شرط من شروط تحقيق السبك، وهذا ما يطلق عليه الدليل المقالي على المحذوف، وأهمية وجود هذا الدليل هي تحقيق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة، مما يؤدي إلى استمرارية النص على الرغم من عدم تكرار اللفظ^(٣٧).

وإذا كان الحذف يمثل قيمة أسلوبية في اللغة بوجه عام؛ لأنه نوع من الإيجاز الذي يدل على بلاغة المتحدث أو الكاتب، فالحذف يمثل قيمة أسلوبية في النص عالية في النص القرآني، حيث يعد وجهاً من وجوه إعجازه^(٣٨). ولا يتم الحذف إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف.

ولا يتم الحذف إلا إذا بقي النص محافظاً على معناه، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو لغوية تدل عليه، فوجود القرينة أهم شروط الحذف، ويكون في الكلمة أو الجملة أو العبارة معنى لا يوجد في ذكره^(٣٩).

يعد الحذف من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية بوصفه انحرافاً عن المستوى التعبيري العادي، ويستمد الحذف أهميته من حيث أنه لا يورد المتوقع من الألفاظ ويفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر في ما هو مقصود، ويتحدد الحذف بأنه علاقة تتم داخل النص فمعظم أمثله تبين أن العنصر المحذوف موجود في النص السابق^(٤٠).

وأهمية الحذف تكمن في سبك النص من خلال البحث عنها في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة، حيث يترك الحذف فراغاً بنيوياً في الجملة الثانية، وهذا الفراغ يهتدى القارئ إلى اعتماد ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق^(٤١)، وهذا الفراغ يظهر عندما يكون المتلقي فاهماً النص فهماً صحيحاً يؤدي إلى لذة استنباط الذهن للمحذوف^(٤٢)، ويحقق الحذف الترابط النصي بالبحث عملاً يملأ الفراغ، وبذلك

يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي، وما سبق من خطاب، كما يمكن أن تحذف أدوات الربط، ما ينتج نوعاً من سرعة الإيقاع، وديناميكية التعبير^(٤٣).

أهمية الدليل في الحذف:

يتحدث العلماء عن ثلاثة أقسام من الحذف: حذف واجب وحذف جائز وحذف ممتنع، فالحذف الممتنع هو الحذف الذي لا تتوفر في الشروط اللازمة المتمثلة في وجود القرينة الدالة على العنصر المحذوف، فمتى غاب الدليل امتنع الحذف، أما الحذف الجائز فهو الذي تتوفر فيه القرينة الدالة، فيما ينحصر الحذف الواجب في الصيغ التي ليس لها استخدام فعلي في اللغة^(٤٤).

وليست ظاهرة الحذف لغة دون لغة، بل هي ظاهرة مشتركة بين جميع اللغات الإنسانية، لذا يتفق العلماء القدامى والمحدثون على ضرورة وجود الدليل الذي يقودنا الى معرفة العنصر المحذوف^(٤٥).

تفطن العلماء القدامى الى اهمية وجود دليل على المحذوف، ونى ابن جني يقول في هذا السياق قد حذفت العرب الجملة والمفرد..... وليس شيء من ذلك.... فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته، ويضيف: "فأما الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. وأصله أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال من الجار والجواب دليلاً على الجملة المحذوفة، وأيضاً الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض؛ نحو قولك: زيد إذا أردت: اضرب زيدا أو نحوه. ومنه إياك إذا حذرت؛ أي أحفظ نفسك ولا تضعها، والطريق الطريق، وقد حذفت الجملة من الخبر؛ نحو: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس"^(٤٦).

نستخلص من كلام ابن جني أنه في حالة الحذف من دون دليل، يصبح الكلام عشوائياً وغير مرتب، ويخوض بداخله الغموض والإبهام، ونوعاً من التكليف، ويكون مفتقراً للإفادة التي تعتبر شرطاً أساسياً تقوم من خلالها عملية الربط بين القيود النحوية ودليل الحذف.

لقد عني القدماء من ناحية وبلاغيين بدراسة هذه الظاهرة، لكن بعضهم خلط بين الحذف والإضمام؛ ولذلك قال أبو حيان "وهو موجود في اصطلاح النحويين، أعني أن يسمى الحذف إضماماً"^(٤٧).

أما ما جاء في تفسير البضاوي: وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر كما يعلم بالاستقراء^(٤٨). لكن بعضهم تنبه الى ضرورة التفريق بين الحذف والإضمار؛ ومن ذلك الفارسي حيث يقول: "وقد يحذف حرف الجر، فيصل الفعل الى الاسم المحلوف به وذلك نحو: الله لأفعلن، وربما أضمر حرف الجر، فقيل: الله لأفعلن. بل نجد ابن مضاء القرطبي، ينتقد هذا الخلط بين المصطلحين واستعمالهما بمعنى واحد ويفرق بينهما قائلاً: "الفاعل يضم ولا يحذف"^(٤٩)، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر فهم يقصدون بالمضمّر ما لا بد منه، وبالمحذوف ما يمكن الاستغناء عنه.

ويذكر البلاغيون ضرورة تقدير المحذوف؛ حتى لا يحمل الكلام على ظاهره، وحتى يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجع الى الكلام نفسه لا الى غرض المتكلم^(٥٠).

إذن الحذف ظاهرة نصية كغيرها من الظواهر، لها دور فعال في اتساق النص وترباط عناصره، يعرفها كل من "هاليداي ورقية حسن" بأنها: "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة هو علاقة قبلية"^(٥١).

وعرفها "دي بوجراند" بقوله: استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها أن يقوم الذهن"^(٥٢). فالجمل والكلمات المحذوفة تساهم في الربط بين أجزاء لا سيما إذا كانت تحمل ذات المحتوى الدلالي، لأن المحذوف من الكلام سيحدث خللاً في النص ويجعله مليئاً بالحشو والزيادات التي لا طائل لها، ولأن العربية أجازت حذف أحد العناصر من التركيب عند استخدامها وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة كافياً، وقد يحذف أحد العناصر لوجود قرائن معنوية ومقالية تومئ اليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره^(٥٣).

فالحذف هو أحد المطالب الاستعمالية التي يلجأ اليها المتكلم لتبليغ دلالة معينة، وهو

نوعان:

* الحذف الواجب: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٤)، فالحذف هنا محكوم

بقاعدة جزئية هي أن أداة الشرط لا يليها إلا يليها إلا فعل، فيكون تقدير الكلام: وإن استجارك أحد من المشركين.

* الحذف الجائز: كحذف الفعل من الجملة الفعلية في بعض المواقف، وذلك إذا كان في جواب سؤال حقيقي نجو قوله تعالى: "ولئن سألتكم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون" (٥٥)، فتقدير الكلام: خلقن الله (٥٦).

وبحسب هاليداي ورقية حسن فإن للحذف أقسام ثلاثة هي:

١- الحذف الاسمي: ويتمثل في حذف اسم داخل المركب الاسمي، ومثاله: أي قبعة ستلبس؟ هذه هي الأحسن، وتقدير الكلام: هذه القبعة هي الأحسن.

٢- الحذف الفعلي: ويكون المحذوف فيه عنصراً فعلياً، مثال ذلك: ماذا تكتب؟ قصة قصيرة، والتقدير أكتب قصة قصيرة.

٣- الحذف داخل شبه الجملة: نحو قولنا: كم ثمنه؟ خمسة جنيهات، والأصل: ثمنه خمسة جنيهات.

وجدير بالذكر أن ظاهرة الحذف ترجى بكثرة في اللغة المنطوقة، لأن الكثير مما يحيل عليه الكلام موجود في محيط المتكلمين (٥٧).

وعلى هذا الأساس فالمتلقي له دوره في تقدير المحذوف والكشف عن إسهامه في الاتساق النصي، فبقدر معرفته بعالم النص وسياقاته المحيطة به تتحقق قدرته على اكتشاف المحذوف وتقديره.

وبعدها يصبح أثر الحذف هو توسيع السيطرة الدلالية لجملة معينة إلى جملة أو جمل أخرى تليها، وتتقاطع معها في المعنى ذاته ما يساهم في تحقيق النصية لأن المحذوف يعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور (٥٨).

أقسام الحذف:

ساهمت ظاهرة الحذف وبشكل كبير في اتساق الخطب بعضها مع بعض سواء كان على مستوى الحروف، أو الأسماء، أو الأفعال، أو الجمل.

وفيما يلي سوف نتطرق إلى تحليل كل قسم بالتطبيق في نهج البلاغة للإمام

علي عليه السلام.

حذف الحرف:

ومنه حذف حرف الجر "من" في قول عليه السلام: ((إلى محمد ﷺ فأخرجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَحْتَدًا، وَأَكْرَمَ الْمَغَارِسِ مَنبَتًا، وَأَمْنَعَهَا ذُرْوَةً، وَأَعَزَّهَا أَرْوَمَةً، مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي مَنَّا خَلَقَ أَنْبِيَاءَهُ وَاتَّخَذَ أَمْنَاءَهُ، الطَّيِّبَةَ الْعُودَ.....))^(٥٩).

فعلى الرغم من حذف حرف الجر وغيابه من هذا المقطع فإن معناه قائم في ذهن القارئ الشيء الذي عمل على تحقيق التماسك والترابط بين الجمل، لأن أصل الكلام: من أفضل المعادن محتداً، ومن أكرم المغارس منبتاً، ومن أمنعها ذروة ومن أعزها أرومة، من الشجرة التي منها خلق أنبياءه ومنها انتخب أمناءه.

كما نجد أيضاً حذفاً آخر لحرفين من حروف الجر هما "الباء" و"في" في قوله عليه السلام: ((....فِي كَرَمٍ غَرَسْتُ، وَفِي أَنْبَتٍ، وَفِيهِ بَسَقَتْ وَأَثْمَرَتْ، وَعَزَّتْ بِهِ، وَامْتَنَعْتُ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ، وَالنُّورِ الْمُبِينِ...))^(٦٠).

إذ الأصل في الكلام أن يكون: في كرم غرست، وفي حزم أنبتت، وفيه بسقت وفيه أثمرت، وعزت به، وامتنعت به، أكرمه الله بالروح الأمين، وبالنور المبين. كما يوجد في هذا المقطع نوع آخر من الحذف، وهو حذف الفعل وفاعله ومفعوله في قوله: "أكرمه الله بالروح الأمين، والنور المبين"^(٦١)، حذف ذلك في الجملة الثانية لأن الأصل في الكلام كما يلي: أكرمه الله بالروح الأمين، وأكرمه بالنور المبين.

بالإضافة إلى حذف حروف المعاني في الخطبة، نجد في مقابل ذلك نمطاً آخر من الحذف وهو الذي يختص بالأدوات، ومن الأمثلة الدالة عليه حذف أداة النصب "حتى" في قوله عليه السلام: ((...صَدَعَ بِمَا أَمَرَ، وَبَلَغَ مَا حَمَلَ، حَتَّى فَصَحَ بِالتَّوْحِيدِ دَعْوَتَهُ، وَأَظْهَرَ فِي الْخَلْقِ كَلِمَتَهُ، وَخَلَصَتْ لَهُ الْوَحْدَانِيَّةُ، وَصَفَتْ لَهُ الرَّبُّوبِيَّةُ....))^(٦٢).

فأداة النصب حاضرة بغيابها في هذا المقطع، لأن القارئ سرعان ما يستدركها في ذهنه ويسترجعها بين العبارة والأخرى، إذ الأصل في الكلام أن يكون على هذا النحو: حتى أفصح بالتوحيد دعوته، وحتى أظهر في الخلق كلمته، وحتى خلصت له الوجدانية، وحتى صفت له الربوبية.

وقد يحذف الرابط بين الجمل، ومع ذلك يبقى النص محافظاً على تماسكه، بحسب قواعد الحذف التي تقتضي من المتلقي بما سبق ملء الفراغ الذي يتركه الحذف، فينتج

عن ذلك ربط اللاحق بالسابق على مستوى البنية العميقة بعد أن تعذر الربط على مستوى البنية السطحية، كما في دعاء الإمام عليه السلام: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُخْتَصَّ بِالتَّوْحِيدِ، الْمُتَقَدِّمَ بِالْوَعْدِ، الْفَعَالِ لِمَا يُرِيدُ، الْمُحْتَجِّبَ بِالنُّورِ دُونَ خَلْقِهِ))^(٦٣).

حيث حذفت الواو الرابطة بين الجمل؛ لأنَّ في إثباتها ما يقتضي التباين بين المتعاطفين، في حين إذا كان ((في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها. وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد))^(٦٤)، فلا تحتاج الى رابط يربطها، وهنا يكتفي في ربطها ((أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف ويكتفي للربط بينها وبين ما قبلها بالملابسة))^(٦٥)، وهي إشارة متقدمة الى أثر حذف الواو في تماسك النص، وهو معنى قريب من المعنى الذي حدده "دي بوجراند" للحذف بأنه اكفاء بالمبنى العدمي^(٦٦).

٢- حذف الاسم:

ويقصد به أن يكون المحذوف عنصراً اسماً، وقد كان توجه النصيين في هذا النوع من الحذف الى كون العنصر المحذوف اسماً أو لا، من دون النظر الى الموقع الأعرابي للعنصر، على حين غني القدماء بالمواقع الإعرابية المختلفة له، وكانوا أكثر توسعاً في ذكر أنواعه^(٦٧)، فذكروا أنه يحذف في الحالات الآتية: (الابتداء، والخبرية، والإضافة، والنعت، والظرف، والمعطوف، والاستثناء، والتمييز....، الى غير ذلك من المواقع الإعرابية التي يشغلها الاسم)^(٦٨)، وكما هو معروف يتألف الكلام من اسم وفعل وحرف، والاسم يكون مسنداً أو مسنداً اليه أو فضله، على عكس الفعل الذي لا يكون الا مسنداً، فإن الحذف يجوز للاسم في صوره الثلاثة لغرض معين، لأن الأصل في ذلك الذكر لا الحذف، وذلك من باب الجواز لا الوجوب.

ومن أمثلة أقوال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة التي تدل على الحذف: ((مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسماها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه....، خضعت له الصعاب، واذعنت له رواصن الأسباب، مستشهد بعجز الأشياء على قدرته، وبزوالها على بقاءه))^(٦٩).

فإذا تمعنا النظر في هذه الجمل وجدنا الرابط بينها هو الخبر "مستشهد" الذي حضر في الجملة الأولى ثم غاب في الباقيات، فدل عليه المذكور الأول، فكلمة "مستشهد" خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو والأصل في الكلام ما يلي:....مستشهد بحدوث الأشياء على أزمته، ومستشهد بما وسمها به من العجز على قدرته، ومستشهد بما اضطرها اليه من الفناء على دوامه، ومستشهد بعجز الأشياء، ومستشهد بزوالها.

فالمذكور الأول "مستشهد" دل على المحذوفات من بعده، الشيء الذي أحدث التماسك والترابط بين الجمل، وما على القارئ سوى ملء الفراغات وتعويضها بالمحذوفات المناسبة.

وقال في موضع آخر عن الله تبارك وتعالى: ((الذي ليست لأوليته نهاية، ولا لأخريته حد ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولم تتعاوره زيادة ولا نقصان ولا يوصف بمكان))^(٧٠).

حذف الاسم الموصول من الجمل الثلاثة الأخيرة، وبتقدير الكلام يصبح: الذي لم يسبقه وقت، والذي لم يتقدمه زمان، والذي لم تتعاوره زيادة ولا نقصان، والذي لا يوصف بمكان.

فالاسم الموصول "الذي" ورد في أول الكلام ثم غاب عنه في ما بقي إلا أنه حافظ على تماسكه واتساقه، فالجمل كلها تشترك في المسند اليه وهو المولى عز وجل الذي تمت الإحالة اليه بواسطة "الذي" إحالة قبلية تفسرها مرجعية سابقة يدركها القارئ من سياق الكلام.

وفي وصفه لشيعته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((شيعتي. يا نوف. الذبل الشفاه، الخمص البطون، رهبان في الليل، أسد في النهار))^(٧١).

ذكر المبتدأ في الجملة الأولى اسماً ظاهراً (شيعتي) ثم أضمر في الجمل الباقية، إلا أن تقديره لا يسهم كثيراً في اتساق النص، لأن القارئ لا يجد الهوة واسعة بين سابق المحذوف ولاحقه، وبتقديره له يتمكن من ربط عناصر الجملة بعضها ببعض، وفي اتساق عناصر الجملة الواحدة أولى درجات اتساق النص برمته.

فالحذف وسيلة من وسائل الربط بين جملتين متعاقبتين، أو بين مجموعة من الجمل المتوالية والمكونة لنص ما، هذه المتوالية الجمالية ينتج عنها سلاسل متتالية من الحذف،

وذلك في مثل قوله: "...الحمد لله ذي القدرة والسلطان، والرأفة والامتنان" (٧٢)، هنا وقع الحذف بين جملتين متعاقبتين، ساهمت أداة العطف "الواو" في فهم المحذوف وتقديره، وبوجود قرينة الحذف في الجملة الأولى يستطيع القارئ وبسهولة تامة إدراكها فيصبح تقدير الكلام كما يلي: الحمد لله ذي (صاحب) القدرة والسلطان، وذو الرأفة والامتنان.

وجاء أيضاً في خطبة الإمام عليه السلام: ((الهي أنا المقر بذنبي، المغترف بجزمي، الأسير بإساءتي، المرتهن بعملتي، المتهور في خطيئتي، المتحير عن قصدي، المنقطع بي، فضل على محمد وال محمد، وتفضل على وتجاوز عني)) (٧٣).

هنا تحقق الترابط النصي، فحذف المبتدأ اكتفاء بذكره في الجملة الأولى بعد أمن اللبس، لأن الذهن لا ينصرف الى غيره اعتماداً على علم المتخاطبين بالأعراف اللغوية، وهي من شروط نجاح ظاهرة الحذف في صنع الترابط بين أجزاء النص (٧٤). وهذا يتضح في دعائه: ((فاجعل اللهم صباحي هذا نازلاً علي بضياء الهدى، وبالسلامة في الدين والدنيا، ومسائي جنة من كيد الأعداء، ووقاية من مرديات الهوى)) (٧٥).

فقد حذف اسم الإشارة بعد (مسائي)؛ لعدم حضوره بعد؛ لأن الأصل في اسم الإشارة أن يشار به الى محسوس مشاهد (٧٦)، ويقدر المحذوف بالرجوع الى ما سبق، فهذه الفقرة من الدعاء أتت ((مكملة لطلب الداعي من ربه ما يعود الى صاحبه في توفيق، وسلامة الدين والدنيا)) (٧٧)، فيكون من (مراعاة النظر) أن يقترن مساء ذلك اليوم بصاحبه، فيدعو أن يجعله مصوناً من شر الأعداء، ومن مكائد الشيطان، ومن النفس الأمارة بالسوء فيتم يومه هذا من النهار الى الليل بالطاعات والعبادات.

وجاء أيضاً في بحار الأنوار دعاء الإمام عليه السلام يقول: ((وبابك مفتوح للطلب والوغل)) (٧٨)، فقد حذف المضاف اليه، ((وهو السائل عوض عنها الألف واللام فأدخلت على كلمة (طلب) فصارت (الطلب)، والأصل: وبابك مفتوح لطلب السائلين)) (٧٩)، وهذا وإن كان يعد من الحذف في عرف النحاة إلا أنه بحسب ما قرره النصيون يدخل في الاستبدال، بحسبان ما تقدم من الفرق بين الاستبدال والحذف، فالحذف ليس فيه تعويض عن العنصر المحذوف، وإنما هو استبدال بالصف، وعليه ينبغي

أن يعد من الاستبدال كل ما كان فيه تعويض من الحذف. ويرجع إدراك المحذوف الى السياق، فإنه يعد قرينة على ذلك.

٣- حذف الفعل:

ويقصد به الحذف في داخل المركب الفعلي^(٨٠)، إذا كان الاسم مسندا أو مسند اليه أو فضله، فإن الفعل لا يكون إلا مسندا به يتم الكلام، ويكتمل، إلا أنه في بعض الأحيان يحذف من الكلام ويبقى على قرينة تدل عليه، ومن أمثلة حذف الفعل في الخطبة في نهج البلاغة:

((اللهم عذب كفرة أهل الكتاب والمشركين الذين يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك، وخالف بين كلمتهم، وألق الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم رجزك وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم حيث كانوا من مشارك الأرض ومغاربها، اللهم واغفر للمؤمنين والمؤمنات، واجعل التقوى زادهم، والجنة مأبهم والإيمان والحكمة في قلوبهم، وأوزعهم أن يشكروا نعمتك))^(٨١).

فهذا المقطع من الخطبة حذفت منه جملة من الأفعال الى جانب جملة من الحروف والأسماء، إلا تقديرنا للكلام سيقصر فقط على الأفعال فيصبح: اللهم عذب كفرة أهل الكتاب وعذب المشركين الذين يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك...، وأنزل عليهم رجزك وأنزل عليهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين...، اللهم انصر جيوش المسلمين وانصر سراياهم، وانصر مرابطيهم...، اللهم واغفر للمؤمنين...، واجعل للمؤمنات...، دلت عليها الأفعال المذكورة في بداية كل جملة الشيء الذي أحدث اتساقا شديدا بينها، فهي حاضرة في ذهن المتلقي على الرغم من غيابها من جهة، وإحالتها إحالة قبلية من جهة ثانية، لأن مرجعية الأفعال تكمن في سياق الكلام.

وجاء في موضع آخر قوله ﷺ: ((أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله العظيم، فإن الله عز وجل قد جعل للمتقين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون))^(٨٢)، حيث حذف الفعل من الكلام والتقدير يكون: أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله العظيم، فإن الله عز وجل قد جعل للمتقين المخرج مما يكرهون وجعل الرزق من حيث لا يحتسبون.

ومن الحالات الملاحظة أيضاً في حذف الأفعال، أن يحذف الفعل وفاعله، والفعل وفاعله ومفعوله وذلك نحو قوله ﷺ: ((أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله داعياً إلى الحق، وشاهداً عليه))^(٨٣).

هنا حذف الفعل والفاعل، والفعل والفاعل والمفعول به، لأن أصل الكلام: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله داعياً إلى الحق وأرسله شاهداً عليه. حيث اتسقت الجملتان من خلال ذكر الفعل في الجملة الأولى، وحذفه في الثانية، فلم يمنع من حضوره في ذهن القارئ زيادة عليه فإن الضمير (الهاء) الذي يعود على الرسول ﷺ والمتصل بالفعل المحذوف هو ذاته المذكور في الفعل الأول، فإحالة الفعل والضمير المتصل به إلى ذات المرجع يحقق الاتساق بين الجملتين لا محالة.

ويرد حذف الفعل في اللغة العربية وحده أو حذفه مع فاعله المضمّر، ويكون واجباً لا يجوز فيه إظهار الفعل؛ لأنّ معه لا تكون الجملة صحيحة نحوياً، وذلك في باب الاشتغال على خلاف بين البصريين والكوفيين^(٨٤)، أو إذا وقع الاسم بعد أداة تختص بالدخول على الأفعال مثل: "إن، وإذا، ولو" حيث يقدر النحاة فعلاً محذوفاً وجوباً يلي الأداة يفسر بالفعل المذكور بعدها^(٨٥)، نحو قوله تعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك"^(٨٦)، والتقدير: إن استجارك أحد استجارك، وأيضاً يكون الحذف واجباً في الأمثال لكثرة الاستعمال والإيجاز، ولأن الأمثال لا تغير وإنما تلتزم عبارة المثل كما وردت، إلى غير ذلك من المواضع التي ذكرت. وقد يكون حذف الفعل جائزاً بمعنى أن إظهار الفعل المحذوف تكون الجملة معه صحيحة، ويطرد في جواب الاستفهام.

وحذف الفعل الذي تهتم به الدراسات النصية هو ما يكون رابطاً بين جملتين أو أكثر في النص، نحو دعاء أمير المؤمنين علي ﷺ: ((فمن فرغ قلبه، وأعمل فكره، ليعلم كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف علقت في الهواء سماءاتك، وكيف مددت على مور الماء أرضك، رجع طرفه حسيراً وعقله مبهوراً، وسمعه والهيا، وفكره حائراً))^(٨٧).

حيث حذف الفعل (رجع) قبل (عقله، وسمعه، وفكره)، وقد حذف لأن ((حروف العطف إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته فإن قلت: قام زيد وعمرو فالواو

أغنت عن إعادة (قام) فقد صارت ترفع كما يرفع قام^(٨٨)، وهذا صحيح من حيث العمل بحسب نظرية العامل، ولكن تبقى الجملة الثانية من حيث الدلالة محتاجة الى معنى الفعل المحذوف حتى تكون صحيحة دلاليًا، وهو وإن لم يوجد لفظًا، لكنه موجود مفهوماً، ذلك الوجود الذي يسهم في استمراره عنصراً فاعلاً دلاليًا في النص.

٤- حذف الجملة:

ذكر النصيُّون أن حذف الجمل يكثر في مواضع الأسئلة التي يجاب عنها بنعم أو لا^(٨٩)، لأن الاستفهام يمثل الدرجة القصوى للحذف بحسب المفترض مقدماً في تلك الجمل الاستفهامية.

مثال ذلك: هل فهم محمد الدرس؟ - نعم.

التقدير يكون: نعم فهم محمد الدرس. فالتلقي يدرك أن هناك حذفاً في جملة الجواب لوجود الدليل السابق^(٩٠).

أما علماء العربية فقد ذكروا أن حذف الجمل يأتي تجنباً للإطالة وجنوحاً الى الاختصار؛ ولذا فهو يقع في الأساليب المركبة من أكثر من جملة، وهي أساليب الشرط والقسم والعطف والاستفهام، وبعد "إذ" التي تضاف، الى غير ذلك^(٩١).

فمن حذف جملة جواب الشرط فجاء في نهج البلاغة دعاء ﷺ: ((إلهي أقمتُ على قطرة من قناطر الأخطار، مملوئاً بالأعمال والاعتبار، فانا الهالك إن لم تُعن عليها بتخفيف الأثقال))^(٩٢)، حيث حذف جملة جواب الشرط بعد تقدم ما يدل على الجواب، والتقدير: إلهي إن لم تُعن على إقامتي على قطرة من قناطر الأخطار، وأنا مملوئاً بالأعمال والاعتبار بتخفيف الأثقال فانا الهالك.

وقد يجتمع الشرط والقسم فيحذف جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه^(٩٣)، نحو دعائه ﷺ: ((إلهي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك))^(٩٤)، هنا حذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه.

وأيضاً تنوع الحذف بين الجملة الأسمية والجملة الفعلية، وجاء في خطبة ﷺ في نهج البلاغة:

((اللهم خرجنا اليك حين فاجأتنا المضايق الوعرة، وألجأتنا المحابس العسرة، وعضبتنا علايق الشين، وتأثلت علينا لواحق المين، واعتكرت علينا حدايير السنين، وأخلفتنا مخايل الجود، وأسظمأنا لصوارخ القود))^(٩٥).

حيث حذفت جملة مكونة من فعل وفاعل وجار ومجرور وظرف زمان، وبتقدير المحذوفات يصبح الكلام: اللهم خرجنا اليك حين فاجأتنا المضايق الوعرة، وخرجنا اليك حين ألجأتنا المحابس العسرة، وخرجنا اليك حين عضبتنا علايق الشين، وخرجنا اليك حين تأثلت علينا لواحق المين، وخرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدايير السنين، وخرجنا اليك حين أخلفتنا مخايل الجود، وخرجنا اليك حين استظمأنا لصوارخ القود. وقال عن رسول الله ﷺ: ((فإننا نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، واجتهد للأمة وجاهد في سبيلك، ولم يخف لومة لائم في دينك، وعبدك حتى أتاه اليقين))^(٩٦).

هنا تم حذف جملة فعلية مؤلفة من: فعل وفاعل مستتر (نحن) وإن واسمها، والأصل في الكلام هو: فإننا نشهد أنه بلغ الرسالة، ونشهد أنه أدى الأمانة، ونشهد أنه اجتهد للأمة، ونشهد أنه جاهد في سبيلك، ونشهد أنه لم يخف لومة لائم في دينك، ونشهد أنه عبدك حتى أتاه اليقين.

أما عن حذف الجملة الأسمية فنجد قوله ﷺ: ((الحمد لله ولي الحمد ومنتهى الكرم))^(٩٧). هنا حذف المبتدأ والخبر (الجار والمجرور) وبتقديرهما يكون الكلام: الحمد لله ولي الحمد، والحمد لله منتهى الكرم.

وأيضاً قوله: ((الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كون ما قد كان))^(٩٨)، هنا حذف المبتدأ والجار والمجرور والاسم الموصول، وبتقدير المحذوفات يصبح الكلام: الحمد لله الذي لا من شيء كان، والحمد لله الذي لا من شيء كون ما قد كان.

فالجملة المحذوفة في كلا المثالين قد تمت الإشارة إليها في أول الكلام، لذا عمد صاحبها الى التخلي عنها لأنها أحالت إحالة بعدية، حالت دون ذكرها مرة أخرى. فالحذف إذن يعمل وبشكل كبير على الاقتصاد اللغوي، من خلال تجنب التكرار الذي لا طائل من وراءه، إضافة الى دوره البارز في تحقيق الإيجاز مع المحافظة على استمرار المعنى، لأن المذكور ينوب عن المحذوف ويشير اليه وبهذا يتم المعنى المراد منه

وعند رفعه سوف يحدث خللاً، لكن التماسك والترابط سبك النص وتماسك الاجزاء بعضه مع بعض.

دور الحذف في تماسك النص:

يعد المحذوف كالمذكور خاصة إذا توفر الدليل الذي يقودنا الى معرفة العنصر المحذوف، وقد نوّه العلماء القدامى والمحدثون على أهمية الدليل، وإذا ما نظرنا في الجمل التي يقع فيها الحذف سوف يتبين لنا أن التماسك في تراكيب الحذف يقوم على محورين:

١- محور التكرار: بالمفردة نفسها أو بالمعنى أو كليهما، ويكون المحذوف من جنس المذكور، أو أن يكون لفظاً متعلقاً به أو مرادفاً له.

٢- محور المرجعية: وتكون العلاقة بين الحذف والمرجعية، إذ إن الحذف يمثل علاقة مرجعية داخلية (نصية) سابقة أو لاحقة، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية (غير نصية) تستند الى سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تقدير المحذوف، لذا يرى الباحثون في ميدان علم النص أن الحذف ذو المرجعية الخارجية (غير نصية) لا يحقق التماسك^(٩٩).

فعندما يحدث إرجاع المحذوف سوف تتحقق الإحالة الداخلية الى سابق أو لاحق، ويظهر التكرار، ويظهر التماسك على مستوى أكثر من جملة، وتظهر أهمية الدليل المذكور، وعن طريق هذا الدليل يستطيع المتلقي أو القارئ ملء الفراغ في النص.

يقوم الحذف بوظيفة هامة في تحقيق التماسك النصي، ويظهر هذا جلياً في الأثر الذي يتركه في النصوص من خلال مجموعة من الوظائف، والتي أهمها:

- التماسك المنطقي للتراكيب، فالحذف يأتي لجعل النص متماسكاً متلاحماً منطقياً حتى تبقى البنية النصية متدفقة متواصلة.
- تثبيت السياق ودعمه، فالسياق هو عبارة عن حضور علائقي بين الألفاظ والجمل ومعانيها، واستمرار الحضور يعني استمرار العلاقات، وسقوط السياق يعني سقوط العلاقات ويكون مسبب ذلك ضعف الحضور وانقطاع العلاقات، ومن هنا يأتي دور الحذف النصي الذي يمنح المتلقي الدور في التقدير بناء على ما يوفره السياق من دلالات، من أجل إيجاد الاستمرارية النصية.

• التخلص من الحشو، فاللغة العربية تسعى للإيجاز عند أمن اللبس ومن ذلك يأتي دور الحذف في التخلص من حشو الكلام المعلوم أو المفهوم من السياق، ويكثر الحذف في العربية في المواضع التي تكون فيها الجمل طويلة كجملة الصلة وأسلوب الشرط وأسلوب القسم .

• إبراز دور المتلقي، فهو يحثه على القيام بمجموعة من العمليات الذهنية، التي تعمل على بعث الخيال وتنشيط الإحياء فيرتبط التعدد في دلالة النص بتعدد المتلقين وثقافتهم ومعارفهم بأعراف اللغة، كما يساهم في مساعدة المتلقي على الاحتفاظ بالعناصر المحذوفة في الذاكرة، أثناء عملية القراءة، مما ينتج عنه استمرارية في التلقي وفي الربط المفهومي من خلال تعليق الكلام اللاحق بالسابق^(١٠٠).

وقد تفتن العلماء العرب القدماء الى وظائف الحذف والأثر الذي يتركه في النص، فقد تحدث الزركشي عن ست فوائد للحذف^(١٠١) ومنها:

١- التفحيم والإعظام: فالمحذوف يدفع المتلقي للبحث عنه واكتشافه، فيذهب ذهنه في البحث عنه كل مذهب، وكلما طالت فترة إيجاده، عظم شأنه وعلت مكانته في النفس.

٢- زيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف عسيراً كلما كان الالتذاذ به أحسن.

٣- زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، وهذا لا يتحقق في غير المحذوف.

٤- طلب الإيجاز والاختصار، من خلال تحصيل المعاني الكثيرة مع توخي الألفاظ القليلة.

٥- التشجيع على الكلام، وقد أطلق عليه ابن جني شجاعة العربية.

٦- موقعه في النفس في موقعه على الذكر، وهذا ما ذهب اليه الجرجاني حين أشار الى أنه ما من اسم يحذف على الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وكان حذفه خيراً من ذكره.

وفي الدرس اللساني النصي يبرز دور المتلقي في عملية التحليل النصي لأداة الحذف من خلال سعيه الى معرفة مواطن الحذف واكتشافها، وكيفية ملء الفراغات، وكيفية

أداء هذا الحذف لوظائفه. والمحذوف في النص يقدر استناداً الى البنية الدلالية في التعامل مع النص، ولا يمكن تقديره بحسب ما هو ظاهر من لغة النص؛ إذ ينبغي على القارئ ملء الفراغات الناتجة من الحذف بوعي من خلال الآليات والضوابط والأحكام المتعارف عليها قديماً وحديثاً، منها أن يراعي السياق في أثناء هذه العملية، وأن يستعين بالأدلة الموجودة في البنية الظاهرية السطحية التي سوف تقوده الى مكان الحذف وتعينه على تقدير المحذوف^(١٠٢).

يحقق الترابط النصي من خلال البحث عما يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب، وبذلك يقوم المتلقي بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما بقي من خطاب^(١٠٣). ولا بد للقارئ أن يمتلك أدوات القراءة؛ لذا اشترط علماء القرآن على من يتصدى لنصوص القرآن أن يمتلك أدوات القراءة وأن يكون مؤهلاً لها، وهذا يدفعنا الى القول بأهمية قراءة تفسير علمائنا أي علماء التفسير الذين تناولوا كتاب الله بالدلة والتفسير بعد قراءة متأنية، لأن هذا يعد مرشداً لمحلل النص القرآني للاهتمام الى المواضع التي يمكن أن تملأ فراغاتها، وتستكمل العناصر المحذوفة فيها. أضافة الى السياق المقامي والمقالي الذي يمثل مادة ثرية تمكننا من ملاحظة هذه العناصر، ومن ثم نهتدي الى كيفية أدائها لمهمة التماسك النصي^(١٠٤).

نهاية القول إن الحذف يعد واحداً من الأدوات التي تسهم في تماسك أواصر النص، يوظفها المخاطب والكاتب في نصه لتساعده على تكثيف الدلالات مع توخي قلة الكلمات والعبارات، وهو يصيغ النص بصيغة جمالية ويخلصه من الحشو والزوائد، ويقوم المتلقي بوظيفة هامة من خلال البحث عن العناصر المحذوفة مستنبطاً إياها من السياق؛ إذ يبعث الحذف في نفسه حافز البحث والتنقيب عن الحلقات المفقودة من أجل أن يربطها بسلسلة النص، حتى يتأتى له فهمه واستيعابه على أكمل وجه.

هوامش البحث

- (١) - ينظر: علم اللغة النصي: ١٩١/٢.
- (٢) - ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٩.
- (٣) - لسان العرب مادة (حذف): ٨١٠/١٠-٨١١.

- (٤) - معجم العين: ٢٠١/٣-٢٠٢.
- (٥) - المعجم الوسيط، ١٩٢.
- (٦) - ينظر: لسانيات النص: ٢١.
- (٧) - المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ١٠٦-١٠٧.
- (٨) - ينظر: لسانيات النص: ٢١.
- (٩) - ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.
- (١٠) - بناء الجملة العربية، ٢٥٩.
- (١١) - مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، ٩٣.
- (١٢) - ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٤٥.
- (١٣) - ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٤.
- (١٤) - الكتاب: ٣٨/٢.
- (١٥) - الكتاب: ٢٤/١-٢٥.
- (١٦) - المصدر نفسه: ٣٤٤/٢.
- (١٧) - الخصائص: ٢٦٠/٢.
- (١٨) - الطراز: ٥١/٢.
- (١٩) - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣١٧/٦ وما بعدها.
- (٢٠) - ينظر: الإيضاح (القزويني): ١١٠.
- (٢١) - القرآن الكريم: سورة الفجر، آية: ٢٢.
- (٢٢) - ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٩٧٧.
- (٢٣) - ينظر: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ٢٧٦.
- (٢٤) - المقتضب: ٣٨٣/١.
- (٢٥) - إعجاز القرآن:، ٣٩٧.
- (٢٦) - دلائل الإعجاز: ١٤٦.
- (٢٧) - ينظر: الطراز: ٥١/٢.
- (٢٨) - الفوائد المشوق الى علوم القرآن وبيانه، ٧١.
- (٢٩) - ينظر: البرهان في علوم القرآن، ١٠٥/٣.
- (٣٠) - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٠٧/٦.
- (٣١) - ينظر: الإيضاح: ١٠٦.
- (٣٢) - النص والخطاب والإجراء: ٣٠١.

- (٣٣) - لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ٢١.
- (٣٤) - ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٤٢.
- (٣٥) - اللغة والإبداع الأدبي، العبد محمد، دار المعرفة، ١٩٨٩م: ٣٧-٣٨.
- (٣٦) - ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١١٦/٢-٢٠١-٢٠٢.
- (٣٧) - ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في النص الثري، ٨٨-٨٩.
- (٣٨) - ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، ٤٨.
- (٣٩) - ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٥.
- (٤٠) - ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ١٠٦.
- (٤١) - ينظر: لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ١٠٦.
- (٤٢) - ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٥/٣.
- (٤٣) - ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٩٦-١٩٧.
- (٤٤) - ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر، ١٠٧.
- (٤٥) - ينظر: علم اللغة النصي: ٣٦٠.
- (٤٦) - الخصائص ابن جني ابو الفتح عثمان: ٣/٣٦٠.
- (٤٧) - البحر المحيط، الأندلسي ابي حيان: ١/٦٤٣.
- (٤٨) - تفسير البيضاوي: ١٢٥/٢.
- (٤٩) - ينظر: الرد على النحاة: ١٣٠.
- (٥٠) - ينظر: أسرار البلاغة: ٣٧٩-٣٨٠.
- (٥١) - لسانيات النص: ٢١.
- (٥٢) - النص والخطاب والإجراء: ٣٠١.
- (٥٣) - ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٥٩.
- (٥٤) - القرآن الكريم: سورة التوبة: آية: ٦.
- (٥٥) - القرآن الكريم سورة العنكبوت: آية: ٦١.
- (٥٦) - ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٥٩-٢٦٠.
- (٥٧) - ينظر: علم النص: ٩٣.
- (٥٨) - ينظر: علم اللغة النصي: ٢/٢٤٦.
- (٥٩) - - نهج البلاغة: ٢٢.
- (٦٠) - المصدر نفسه: ٢٢.
- (٦١) - نهج البلاغة: ٢٢.

- (٦٢) - المصدر نفسه: ٢٣.
- (٦٣) - نهج لسعادة في مستدرک نهج البلاغة: ١/١٦٦.
- (٦٤) - دلائل الإعجاز: ٢٢٧.
- (٦٥) - البرهان في علوم القرآن: ٣/١٣٦.
- (٦٦) - ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٤٠.
- (٦٧) - ينظر: علم لغة النص والأسلوب: ٤١.
- (٦٨) - ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٤.
- (٦٩) - نهج البلاغة: ٢٣.
- (٧٠) - - نهج البلاغة: ٧٢.
- (٧١) - المصدر نفسه: ٤٩-٥٠.
- (٧٢) - - ينظر: نهج البلاغة: ٦٧.
- (٧٣) - المصدر نفسه: ١٥٠.
- (٧٤) - ينظر: نظرية علم النص: ٨٩.
- (٧٥) - بحار الأنوار، ٩/٢٤٥.
- (٧٦) - ينظر: مفتاح الفلاح ومفتاح النجاح في شرح دعاء الصباح: ١٤١.
- (٧٧) - نهج البلاغة: ٢٧٢.
- (٧٨) - بحار الأنوار: ٩/٢٤٤.
- (٧٩) - مفتاح الفلاح: ٢٧٢.
- (٨٠) - ينظر: لسانيات النص: ٢٢.
- (٨١) - نهج البلاغة: ٩٦.
- (٨٢) - نهج البلاغة: ١٠٤.
- (٨٣) - نهج البلاغة: ٩٥.
- (٨٤) - ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ١/٨٢.
- (٨٥) - ينظر: المصدر نفسه: ٢/٦١٥-٦٢٠.
- (٨٦) - القرآن الكريم كسورة التوبة آية: ٦.
- (٨٧) - شرح نهج البلاغة (ابي الحديد): ٩/٢٢٢.
- (٨٨) - الأصول في النحو: ٢/٦٩.
- (٨٩) - ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢/١١٨.
- (٩٠) - ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٩٤.

- (٩١) - ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس التحوي: ٢٥٣.
- (٩٢) - نهج البلاغة: ٤٢٣.
- (٩٣) - ينظر: شرح ابن عقيل: ٣٥٠/٢.
- (٩٤) - نهج البلاغة: ١٥٠.
- (٩٥) - نهج البلاغة: ٧٥.
- (٩٦) - المصدر نفسه: ٢٣.
- (٩٧) - المصدر نفسه: ٤٠.
- (٩٨) - نهج البلاغة: ٢٣.
- (٩٩) - ينظر: علم اللغة النصي: ٢٢١/٢.
- (١٠٠) - ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٣٠.
- (١٠١) - ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٤/٣-١٠٥.
- (١٠٢) - ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ١٩٣-١٩٤.
- (١٠٣) - ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٧٤.
- (١٠٤) - ينظر: علم اللغة النصي ٢١٦/٢.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

- ١- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، حموده طاهر سليمان، الناشر، الدار الجامعية، ط١/١٩٩٨مصر،
- ٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى واحمد الزيات ومحمد النجار، الناشر، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط ٤/ ١٤٢٥-٢٠٠٤.
- ٣- بناء الجملة العربية، عبد اللطيف محمد حماسة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٩م.
- ٤- مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١/٢٠٠٨.
- ٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الأندلسي أبو محمد بن عبد الحق بن عطية، دار ابن حزم: ١٩٧٧.

- ٦- ظاهرة التخفيف في النحو العربي، عفيفي أحمد، الدار المصرية اللبنانية، ط ١/ ١٩٩٦م.
- ٧- إعجاز القرآن:، الباقلائي ابو بكر محمد بن الطيب، دار المعارف بمصر، تحقيق، احمد صقر، ١٣٧٤-١٩٥٤.
- ٨- الفوائد المشوق الى علوم القرآن وبيانه، ابن القيم الجوزية ابو عبد الله محمد، مطبعة السعادة، ط ١/ ١٣٢٧هـ.
- ٩- البرهان في علوم القرآن، الزركشي محمد بدر الدين بن عبد الله، دار التراث العربي القاهرة، تحقيق محمد ابراهيم.
- ١٠- اللغة والإبداع الأدبي، العبد محمد، دار المعرفة، ١٩٨٩م.
- ١١- نظرية علم النص رؤية منهجية في النص الثري، فرج حسام احمد، مكتبة الآداب القاهرة، ط ١/ ١٤٢٨-٢٠٠٧.
- ١٢ - المعايير النصية في القرآن الكريم، عبد الرازي احمد محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- ١٣- الترابط النصي بين الشعر والنثر، الدارودي زاهر بن مرهون، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١/ ٢٠١٠م.
- ١٤- الخصائص ابن جني ابو الفتح عثمان، دار الكتب العلمية، تحقيق، عبد الحميد هنداي، ط ٣/ ٢٠١٠: ٣٦٠.
- ١٥ - البحر المحيط، الأندلسي ابي حيان، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، ط ١/ ١٩٩٣.
- ١٦ - تفسير البضاوي، الشيرازي ناصر الدين ابو سعيد بن عمر بن محمد، تحقيق، عبد القادر عرفات الفشا حسونه، دار الفكر بيروت، ١٤١٦-١٩٩٦.
- ١٧ - ينظر: الرد على النحاة، القرطبي ابي العباس احمد بن محمد بن مضاء اللخمي، دار الاعتصام القاهرة، ١٣٩٩-١٩٧٩م.
- ١٨ - ينظر: أسرار البلاغة:، الجرجاني ابو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الفارسي، دار المدني بجدة ٢٠١٠.

١٩- نهج لسعادة في مستدرك نهج البلاغة، الحمودي محمد باقر، دار التعارف للمطبوعات، مطبعة النعمان ١٩٦٨.

٢٠- بحار الأنوار، المحلبي محمد باقر، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان ١٤٠٤:٩هـ.

٢١- مفتاح الفلاح ومفتاح النجاح في شرح دعاء الصباح، الخواجوي محمد اسماعيل بن الحسين، ١٢٢٣ق.